ملخص

كتاب: الفهم المقاصدي للسنة النبوية

أ.د/ محمد مختار جمعة

- سبب المشكلة: قلة العلم والفهم، الحسن البصري: " إن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
- أهمية فهم المقاصد: هي الميزان الدقيق لضبط الفتوى، المحافظة على مقصود الشرع في الحفاظ على الكليات الست، نحتاج إلى قراءة عصرية للسنة النبوية تتواكب مع روح العصر ومستجداته.

م١ حديث القرآن عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

- رحمة: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (فبما رحمة من الله..) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم..) (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير..)
- زكاه ربه: اللسان (وما ينطق عن الهوى..) / البصر (ما زاغ..) الفؤاد (ما كذب..) العقل (ما ضل صاحبكم..) / العلم (علمه شديد..) / الخلق (وإنك لعلى..) (لقد كان لكم..) (ألم نشرح..) (إنا فتحنا لك..) / البيعة (إن الذين يبايعونك..)
- الرحمة بأمته: حياته أمان لهم (وما كان الله ليعذبهم..)، وحين قرأ النبي: (رب إنهن أضللن..) (إن تعذبهم..) قال: [أمتي أمتي] فأوحى الله إليه: [إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك] مس.
- إكرام في النداء: النداءات على الأنبياء بأسمائهم، وعلى الرسول بشرف الرسالة، وعندما ناداه باسمه قرنه بالرسالة (محمد رسول..) (وما محمد إلا رسول..)
- العهد على الأنبياء: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..)
- يوم القيامة: أول شافع وأول مشفع وصاحب المقام المحمود (ومن الليل فتهجد به..)
- الصلاة عليه: (إن الله وملائكته يصلون..) (وصل عليهم..) [إذا سمعتم المؤذن..]

م٢ منزلة السنة وحجيتها

- وجوب طاعة الرسول: (يا.. أطيعوا الله وأطيعوا..) (قل أطيعوا الله..) (ومن يطع الله... [فأولئك مع... يدخله..]) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة..)
- التحذير من مخالفته: (فلا وربك..) (فليحذر الذين..) (يا.. أطيعوا.. ولا تبطلوا..) (ومن يعص..)
- أحاديث توصي بطاعة الرسول: [ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله] ترمذي

[دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم] بخاري

[كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى...] / [من أطاعني فقد أطاع.. ومن عصاني] راجع

- السنة شارحة ومتممة: (وأنزلنا إليك الذكر) (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة)
(هو الذي بعث في الأميين رسولاً...) (واذكرن ما يتلى في بيوتكن...)
ذكر الحسن البصري والشافعي وغيرهما أن الحكمة هنا هي سنة رسول الله.
- كلام العلماء والأصوليين عن حجية السنة: يقول الشافعي: "لم أسمع أحداً نسبه الناس إلى العلم يخالف فرض الله باتباع أمر رسوله وقبول الخبر عنه".
يقول ابن حزم: "في أي قرآن وجدت تفاصيل العبادات والمعاملات، إنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها؟ وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم". وكذلك ذكر الشوكاني والألوسي ما يشير إلى ذلك المعنى.

٣) حتمية التجديد

يحتاج المجدد إلى رؤية ودراية وفهم عميق وشجاعة وجرأة وحسن تقدير، وإلى أهم من ذلك كله وهو إخلاص النية، بما يعينه على حسن الفهم وتحمل النقد.

١) الثوابت ليس فيها اجتهاد: مجال الاجتهاد هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي.
٢) النظر بتقدير واحترام لكل آراء العلماء من المجددين المجتهدين.
٣) قد تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، يقول الإمام القرافي: "ينبغي للمفتي أن يسأل المستفتي عن بلده وعرفه قبل الفتيا".
٤) نؤمن بالرأي والرأي الآخر، وإمكانية تعدد الصواب في بعض القضايا الخلافية، فالأقوال الراجحة ليست معصومة، والأقوال المرجوحة ليست معدومة.
٥) اتساع وتيرة الحياة، وكثرة المتغيرات تحتم علينا التجديد في الفتاوى.
٦) أقر النبي بالاجتهاد: أرسل النبي معاذاً إلى اليمن [كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟] قال: "بكتاب الله".. "بسنة رسول الله".. "أجتهد رأيي ولا آلو" فقال: [الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله]
يعني إذا لم يجد الحكم في النص يجتهد برأيه دون تقصير.
- فوائد من حديث معاذ: ١- عدم الرجوع إلى الرسول دليل على فتح باب الاجتهاد بالرأي.
٢- قال النبي [إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد...]
٣- سار الصحابة على طريق الاجتهاد، بعث عمر لأبي موسى: "الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، واعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور عند ذلك، ثم اعمد إلى أحبها عند الله وأشبهها بالحق فيما ترى".
٧) قضايا التجديد لا تكون موضوع إجماع إلا بعد فترة من الصمود أمام التقليديين.
٨) الانضباط بميزان الشرع والعقل، وأن يكون المجدد متخصصاً مؤهلاً.
وإذا أردنا أن نقضي على التشدد من جذوره فلابد أن نقضي على التسيب من جذوره
٩) ثقافة التفكير مهمة في كل الجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية.

م٤ جوهر رسالة الإسلام وضرورة فهم مقاصده

الإسلام عدل كله.. وهو دين مكارم الأخلاق [إنما بُعثت..] ، ومن ليست عنده أخلاق فهو عبئ على الدعوة (ومن الناس من يعجبك..) (إذا جاءك المنافقون...)

- كلام أهل العلم والفقه حول مصالح العباد:
وأن هذه المصالح هي مقاصد الشريعة،

- يقول الإمام أبو حامد الغزالي: " نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة ".

- يقول الشاطبي: " المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد، فالتكليف كله إما لدفع مصلحة أو لدرء مفسدة ".
وقال بمثل هذا الكلام الإمام ابن القيم، والعز بن عبد السلام، وغيرهم.

م٥ سنن العبادات وأعمال العادات

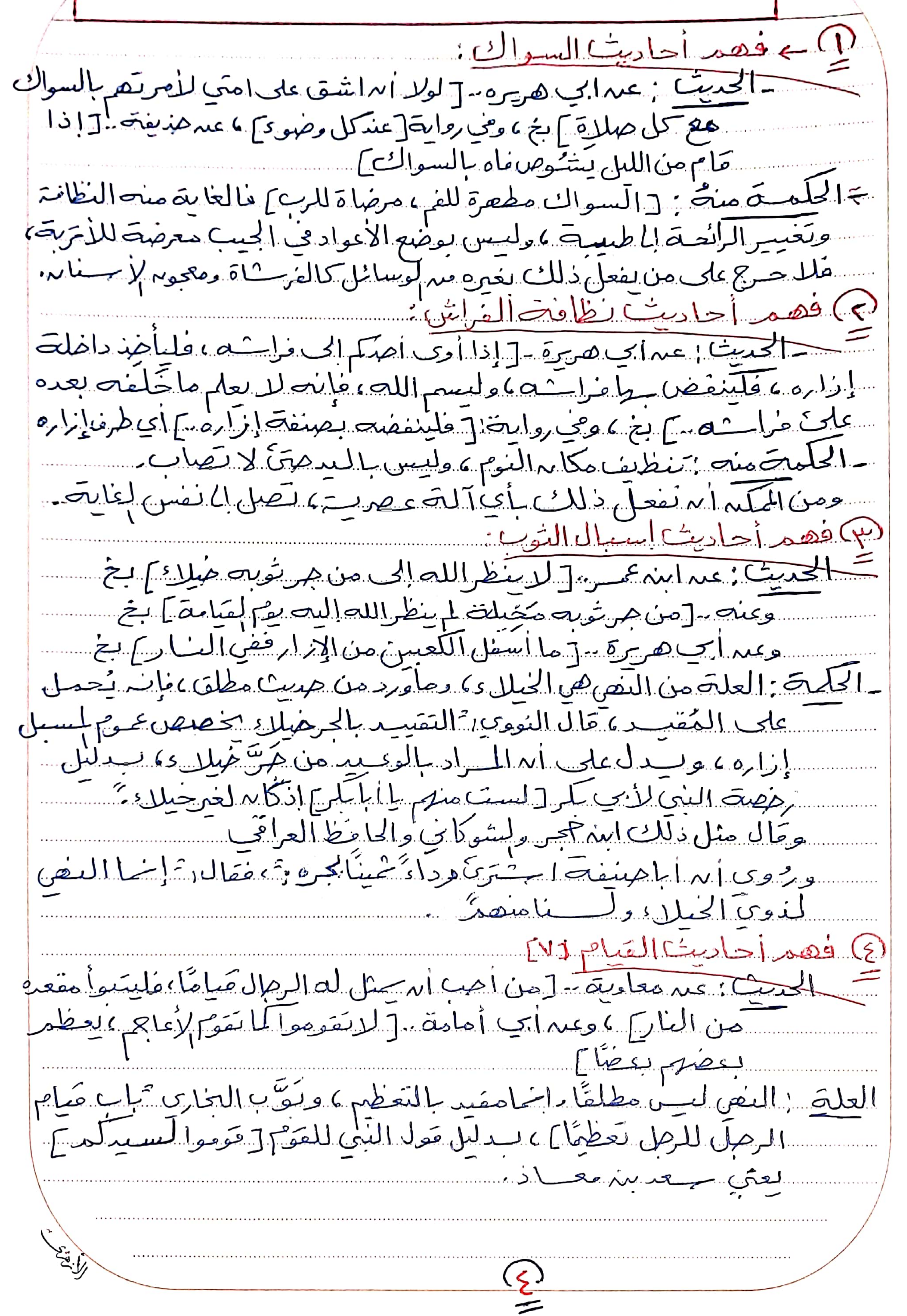
- السنة يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها: سُئل النبي عن الإسلام [خمس صلوات في اليوم والليلة... [أفلح إن صدق] / [اضمنوا لي ستًا...]

- الفرق بين سنن العبادات والعادات: العبادات راجعة إلى الدليل والاتباع مثل صيام يوم عرفة......، والعادات راجعة إلى العرف والعادة.

- الأصوليون وسنن العادات: كلام الإمام الشافعي حول تغطية الرأس هو من سنن العادة، يقول الشاطبي " كشف رأس الرجل يختلف بحسب البقاع في الواقع "، ويقول القرافي " إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير العوائد فهو خلاف الإجماع وجهالة في الدين ".

م٦ تصرفات النبي - صلى الله عليه وسلم - في إدارة الدولة

لم يكن النبي نبيًا فحسب، وإنما كان نبيًا ورسولاً وحاكمًا وقاضيًا وقائدًا عسكريًا
باعتباره نبيًا ورسولاً: ما يتصل بشئون العقائد والعبادات والقيم والأخلاق من صحيح السنة (ما كان محمد أبا...) [فُضلت على الأنبياء... وختم بي النبيون]
باعتباره نبيًا وحاكمًا: لابد لمن يقلده أن يتوفر فيه الشرط بأن يكون حاكمًا
أمثلة: - إحياء الأرض الموات [من أحيا أرضًا ميتة فهي له]
- سلب القتيل: [من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه]
- قضية الخلع: امرأة ثابت بن قيس [اقبل الحديقة وطلقها تطليقة]



م٧

نماذج تطبيقية من الفهم المقاصدي للسنة النبوية

١) ← فهم أحاديث السواك:

- الحديث: عن أبي هريرة: [لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة] خ، وفي رواية [عند كل وضوء]، عن حذيفة: [إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك]
- الحكمة منه: [السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب] فالغاية منه النظافة وتغيير الرائحة إلى طيبة، وليس بوضع الأعواد في الجيب معرضة للأتربة، فلا حرج على من يفعل ذلك بغيره من الوسائل كالفرشاة ومعجون الأسنان.

٢) فهم أحاديث نظافة الفراش:

- الحديث: عن أبي هريرة: [إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخلة إزاره، فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه..] خ، وفي رواية: [فلينفضه بصنفة إزاره..] أي طرف إزاره
- الحكمة منه: تنظيف مكان النوم، وليس باليد حتى لا تصاب.

ومن الممكن أن تفعل ذلك بأي آلة عصرية، تصل إلى نفس الغاية.

٣) فهم أحاديث إسبال الثوب:

- الحديث: عن ابن عمر: [لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء] خ
وعنه: [من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة] خ
وعن أبي هريرة: [ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار] خ
- الحكمة: العلة من النهي هي الخيلاء، وما ورد من حديث مطلق، فإنه يحمل على المقيد، قال النووي: "التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره، ويدل على أن المراد بالوعيد من جره خيلاء"، بدليل رخصة النبي لأبي بكر [لست منهم يا أبا بكر] إذ كان لغير خيلاء".

وقال مثل ذلك ابن حجر والشوكاني والحافظ العراقي

وروي أن أبا حنيفة اشترى رداءً ثمينًا يجره، فقال: "إنما النهي لذوي الخيلاء، ولسنا منهم".

٤) فهم أحاديث القيام [٧]:

- الحديث: عن معاوية: [من أحب أن يمثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده من النار]، وعن أبي أمامة: [لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضًا]

العلة: النهي ليس مطلقًا، إنما مقيد بالتعظيم، وبوّب البخاري "باب قيام الرجل للرجل تعظيمًا"، بدليل قول النبي للقوم [قوموا لسيدكم] يعني سعد بن معاذ.

٥) فهم أحاديث صدقة الفطر:

الحديث: عن ابن عمر: [فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة] بخ

الحكمة: إغناء الفقير وتحقيق مصالحه، فحيث تكون مصلحة الفقير تكون الأفضلية، فإخراج القيمة جائز، بدليل حديث ابن عمر في البخاري: "فعدل الناس به نصف صاع من بُر"، وحديث أبي سعيد في صحيح مسلم، أن معاوية قال: "إني أرى مُدين من سمراء الشام، تعدل مداً من تمر". والمدان ربع صاع، والسمراء الحنطة وهي القمح.

- وعن معاذ بن جبل أنه قال لأهل اليمن: "ائتوني بعرض ثياب خميص في الصدقة مكان الشعير والذرة، أهون عليكم، وخير لأصحاب النبي بالمدينة" بخ

- وكان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: "الدقيق أحب إلي من الحنطة، والدرهم أحب إلي من الدقيق والحنطة، لأن ذلك أقرب لدفع حاجة الفقير".

- وقد نص الفقهاء على إخراجها من غالب قوت البلد، وذلك يتماشى مع حاجة الفقير ومستجدات العصر: "إنما ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه".

٦) فهم أحاديث الأضحية [٥]:

- الحديث: عن سلمة بن الأكوع: [من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منه شيء، فلما كان العام المقبل، قالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا عام الماضي؟ قال: كلوا وأطعموا وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد، فأردت أن تعينوا فيها] بخ

- السبب: كان لحال الشدة الذي وقع فيها الناس، فلا نسخ، فحيث تكون الشدة يكون الأمر بعدم الادخار.

- وكذلك تقسيم الأضحية أثلاثاً هو من الاجتهاد فقط، مع علم ثواب الصدقة.

فهم أحاديث الحجامة: [من اختبار الأوقاف ٢٦/٨/٢٠٢٠]

- الحديث: عن أنس: [إن أفضل ما تداويتم به الحجامة] بخ، مس، وفي رواية أخرى [إن كان في شيء من أدويتكم خيراً ففي شرطة محجم أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي] بخ

- الفهم المقاصدي: الأخذ بالأسباب والتداوي بوسائل العصر المتاحة مع العلم أن الحجامة ذكر أطباء الطب البديل في العالم فوائدها، بشرط أن تكون على يد طبيب وليس إنساناً عادياً، وهذا لا يعني حرمة التداوي بغيرها، بل يجوز وقد يجب التداوي بما هو مناسب للإنسان في العصر الحديث، ويجوز ترك الاحتجام لمن وجد أن حاله لا يتوافق مع فعلها، مع التداوي بغيرها.

نسألكم الدعاء